قوم سليمان عليه السلام
(مملكة سبأ)

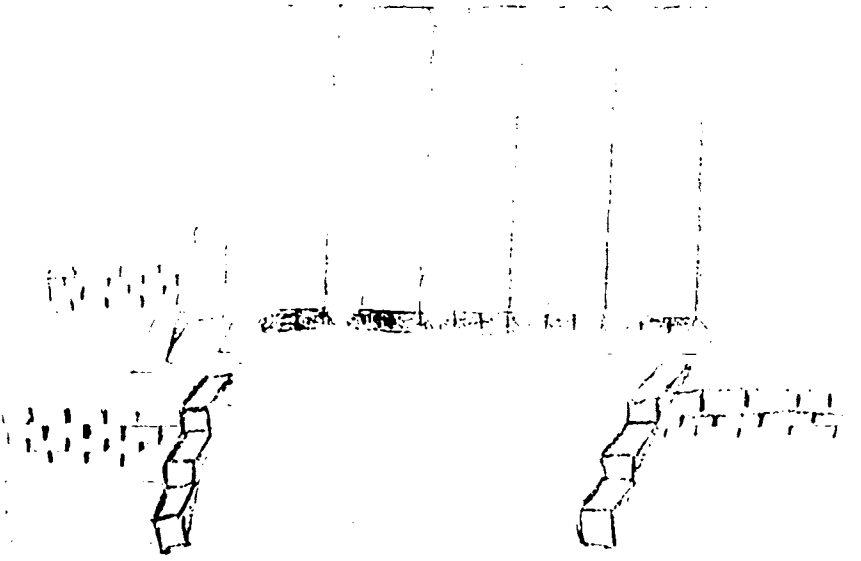

نسبهم

نسب النبي سليمان، هو: سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سليمان ابن فحشون بن عوينادب بن إرم بن جصرون بن قارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن.

نسب الملكة بلقيس. قال الطبري: بلقيس، وهي فيما يقول أهل الأنساب: يلمقة ابنة اليشرح. ويقول بعضهم: ابنة أيلي شرح. ويقول بعضهم: ابنة ذي شرح بن ذي جدن بن أيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان[1].

موقعهم الجغرافي

كان قوم سليمان في منطقة مأرب الواقعة في سبأ في أراضي اليمن، ويرى علماء الآثار أنَّ حضارة سبأ كانت في مشرق اليمن، وكان ملك سليمان في الشام.

صفاتهم

القوة والجماعة.

حياتهم

قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل:١٦]، أي ورثه في النبوة والملك. وليس المراد وراثة المال، لأنه قد كان له بنون غيره، فما كان ليخص بالمال دونهم. ولأنه قد ثبت في الصحاح من غير وجه، عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله ﷺ، قال: «لا نورث، ما

(١). انظر: تاريخ الطبري (٢٨٩/١).

تركنا فهو صدقة»، وفي لفظ: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث»[1]، فأخبر الصادق المصدوق: أن الأنبياء لا تورث أموالهم عنهم، كما يورث غيرهم، بل تكون أموالهم صدقة من بعدهم على الفقراء والمحاويج، لا يخصون بها أقرباءهم، لأن الدنيا كانت أهون عليهم وأحقر عندهم من ذلك، كما هي عند الذي أرسلهم واصطفاهم وفضلهم. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، يعني أنه، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان يعرف ما تتخاطب به الطيور بلغاتها، ويعبر للناس عن مقاصدها وإراداتها.

وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات، والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾، أي من كل ما يحتاج الملك إليه، من العدد، والآلات، والجنود، والجيوش، والجماعات من الجن، والإنس، والطيور، والوحوش، والشياطين السارحات، والعلوم، والفهوم، والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات. ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦]، أي من بارئ البريات وخالق الأرض والسماوات، كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٧-١٩]. يخبر تعالى

(١). أخرجه البخاري (٧٩/٤ رقم٣٠٩٣)، ومسلم (١٣٧٧/٣ رقم١٧٥٧).

عن عبده ونبيه وابن نبيه سليمان بن داود، عليهما الصلاة والسلام، أنه ركب يومًا في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير، فالجن والإنس يسيرون معه، والطير سائرة معه، تظله بأجنحتها من الحر وغيره، وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة، أي نقباء يردون أوله على آخره، فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾، فأمرت، وحذرت، واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور.

وفي هذا السياق دليل على أنه كان في موكبه راكبًا في خيوله وفرسانه، لا كما زعم بعضهم من أنه كان إذ ذاك على البساط، لأنه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء، لأن البساط كان عليه جميع ما يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثقال والخيام والأنعام، والطير من فوق ذلك كله.

والمقصود: أن سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فهم ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأي السديد والأمر الحميد، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره، وليس كما يقوله بعض الجهلة، من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان، وتخاطب الناس حتى أخذ عليهم سليمان بن داود العهد وألجمها، فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك، فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون، ولو كان هذا هكذا لم يكن لسليمان في فهم لغاتها مزية على غيره، إذ قد كان الناس

كلهم يفهمون ذلك، ولو كان قد أخذ عليها العهد أن لا تتكلم مع غيره، وكان هو يفهمها، لم يكن في هذا أيضًا فائدة يعول عليها، ولهذا قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾، أي ألهمني وأرشدني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩]، فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه، وعلى ما خصه به من المزية على غيره، وأن ييسر عليه العمل الصالح، وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين، وقد استجاب الله تعالى له.

ويذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد، وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون، يقومون بما يطلب منهم، ويحضرون عنده بالنوبة، كما هي عادة الجنود مع الملوك، وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس وغيره، أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار، يجيء فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء، وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه، أن ينظر إلى الماء تحت تخوم الأرض، فإذا دلهم عليه حفروا عنه واستنبطوه وأخرجوه، واستعملوه لحاجتهم، فلما تطلبه سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذات يوم، فقده ولم يجده في موضعه من محل خدمته ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل:٢٠]، أي ما له أمفقود من ها هنا، أو قد غاب عن بصري، فلا أراه بحضرتي؟ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل:٢١] توعده بنوع من العذاب اختلف المفسرون فيه، والمقصود حاصل على كل تقدير. ﴿أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ﴾ [النمل:٢١]، أي بحجة تنجيه من

هذه الورطة. قال الله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [النمل: ٢٢]، أي فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة، ثم قدم منها، فقال لسليمان: ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢]، أي اطلعت على ما لم تطلع عليه. ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل:٢٢]، أي بخبر صادق.

﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣]، يذكر ما كان عليه ملوك سبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة والتبابعة المتوجين، وكان الملك قد آل في ذلك الزمان إلى امرأة منهم، ابنة ملكهم، لم يخلف غيرها فملكوها عليهم.

وذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد أبيها رجلًا، فعم به الفساد فأرسلت إليه تخطبه فتزوجها، فلما دخلت عليه سقته خمرًا، ثم حزت رأسه ونصبته على بابها، فأقبل الناس عليها وملكوها عليهم. وهي بلقيس. وكان أبوها من أكابر الملوك.

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى، قال: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»[1]. وقوله: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾، أي مما من شأنه أن تؤتاه الملوك ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] يعني سرير مملكتها، كان مزخرفًا بأنواع الجواهر واللآلئ والذهب والحلي الباهر. ثم ذكر كفرهم بالله وعبادتهم الشمس من دون الله، وإضلال الشيطان لهم، وصده إياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ

(١). أخرجه البخاري (٨/٦ رقم٤٤٢٥).

فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [النمل:٢٥]، أي يعلم السرائر والظواهر من المحسوسات والمعنويات ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴾ [النمل:٢٦].

أي: له العرش العظيم، الذي لا أعظم منه في المخلوقات. فعند ذلك بعث معه سليمان، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله، والإنابة والإذعان إلى الدخول في الخضوع لملكه وسلطانه، ولهذا قال لهم: ﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾، أي: لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري. ﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣١]، أي وأقدموا عليَّ سامعين مطيعين، بلا معاودة ولا مراودة، فلما جاءها الكتاب مع الطير، ومن ثم اتخذ الناس البطائق، ولكن أين الثريا من الثرى؟! تلك البطاقة كانت مع طائر سامع مطيع فاهم، عالم بما يقول ويقال له. فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم: أن الهدهد حمل الكتاب، وجاء إلى قصرها، فألقاه إليها، وهي في خلوة لها، ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها وأولي مشورتها ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ [النمل:٢٩]، ثم قرأت عليهم عنوانه أولًا: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾، ثم قرأته: ﴿ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل:٣٠-٣١]، ثم شاورتهم في أمرها وما قد حل بها، وتأدبت معهم، وخاطبتهم وهم يسمعون: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل:٣٢]، تعني: ما كنت لأبت أمرًا إلا وأنتم حاضرون: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُو۟لُوا قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ [النمل:٣٣]، يعنون: لنا قوة وقدرة

على الجلاد والقتال ومقاومة الأبطال، فإن أردت منا ذلك، فإنا عليه من القادرين، ومع هذا ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل:٣٣]، فبذلوا لها السمع والطاعة، وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة، وفوضوا إليها في ذلك الأمر، لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم، فكان رأيها أتم وأسد من رأيهم، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يخادع. ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤]، تقول برأيها السديد: إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة، لم يخلص الأمر من بينكم إلا إليَّ، ولم تكن الحدة الشديدة والسطوة البليغة إلا عليَّ ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]، أرادت أن تصانع عن نفسها وأهل مملكتها بهدية ترسلها، وتحف تبعثها، ولم تعلم أن سليمان، عَلَيْهِ السَّلَامُ، لا يقبل منهم والحالة هذه صرفًا ولا عدلًا، لأنهم كافرون، وهو وجنوده عليهم قادرون، ولهذا ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل:٣٦]، هذا وقد كانت تلك الهدايا مشتملة على أمور عظيمة، كما ذكره المفسرون. ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذي قدم عليه، والناس حاضرون يسمعون: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧]، يقول: ارجع بهديتك -التي قدمت بها- إلى مَنْ قد مَنَّ بها، فإن عندي مما قد أنعم الله عليَّ وأسداه إليَّ من الأموال والتحف والرجال، ما هو أضعاف هذا، وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به، وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا

﴿قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ [النمل:٣٧]، أي فلأبعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم، ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل:٣٧]، عليهم الصغار والعار والدمار. فلما بلغهم ذلك عن نبي الله، لم يكن لهم بد من السمع والطاعة، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة، وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين، فلما سمع بقدومهم عليه ووفودهم إليه، قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجان، ما قصه الله عنه في القرآن: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٣٨-٤٤] يعني: قبل أن ينقضي مجلس حكمك، وكان -فيما يقال- من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل، وما لهم من الأشغال ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾، أي وإني لذو قوة على إحضاره إليك، وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك. ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، المشهور أنه آصف بن برخيا، وهو ابن خالة سليمان. ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾، قيل: معناه قبل أن تبعث رسولًا إلى أقصى ما ينتهي إليه طرفك من الأرض، ثم يعود إليك. وقيل: قبل أن يصل إليك أبعد من تراه من الناس. وقيل: قبل أن يكل طرفك إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك. وقيل: قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته. وهذا أقرب ما قيل. ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾، أي فلما رأى عرش بلقيس مستقرًّا عنده في هذه

المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس، في طرفة عين ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾، أي هذا من فضل الله عليَّ وفضله على عبيده؛ ليختبرهم على الشكر أو خلافه. ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾، أي: إنما يعود نفع ذلك عليه. ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] أي: غني عن شكر الشاكرين، ولا يتضرر بكفر الكافرين.

ثم أمر سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يغير حلي هذا العرش وينكر لها، ليختبر فهمها وعقلها، ولهذا قال: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤١-٤٢]، وهذا من فطنتها وغزارة فهمها، لأنها استبعدت أن يكون عرشها، لأنها خلفته وراءها بأرض اليمن، ولم تكن تعلم أن أحدًا يقدر على هذا الصنع العجيب الغريب.

قال الله تعالى إخبارًا عن سليمان وقومه: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النمل: ٤٢-٤٣]، أي ومنعها عبادة الشمس التي كانت تسجد لها هي وقومها من دون الله، اتباعًا لدين آبائهم وأسلافهم لا لدليل قادهم إلى ذلك ولا حداهم على ذلك، وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج، وعمل في ممره ماء، وجعل عليه سقفًا من زجاج، وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء، وأمرت بدخول الصرح وسليمان جالس على سريره فيه، ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقد ذكر الثعلبي

وغيره: أن سليمان لما تزوجها، أقرها على مملكة اليمن وردها إليه، وكان يزورها في كل شهر مرة، فيقيم عندها ثلاثة أيام، ثم يعود على البساط، وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن: غمدان، وسالحين، وبنيون، فالله أعلم.

ويذكر تعالى أنه وهب لداود سليمان، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ثم أثنى الله تعالى عليه فقال: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٣٠]، أي رجاع مطيع لله. ثم ذكر تعالى ما كان من أمره في الخيل الصافنات، وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة. الجياد، وهي المضمرة السراع: ﴿ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾ [ص:٣٢]، يعني الشمس وقيل: الخيل. ﴿ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص:٣٣]، قيل: مسح عراقيبها وأعناقها بالسيوف. وقيل: مسح عنها العرق لما أجراها، وسابق بينها وبين يديه، على القول الآخر. والذي عليه أكثر السلف الأول، فقالوا: اشتغل بعرض تلك الخيول حتى خرج وقت العصر وغربت الشمس. روي هذا عن علي بن أبي طالب وغيره. والذي يقطع به، أنه لم يترك الصلاة عمدًا من غير عذر، اللهم إلا أن يقال: إنه كان سائغًا في شريعتهم تأخير الصلاة لأجل أسباب الجهاد، وعرض الخيل من ذلك. وقد ادعى طائفة من العلماء في تأخير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلاة العصر يوم الخندق: أن هذا كان مشروعًا إذ ذاك، حتى نسخ بصلاة الخوف. قاله الشافعي وغيره. وقال مكحول والأوزاعي: بل هو حكم محكم إلى اليوم، أنه يجوز تأخيرها لعذر القتال الشديد. وقال آخرون: بل كان تأخير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

صلاة العصر يوم الخندق نسيانًا. وعلى هذا فيحمل فعل سليمان، عَلَيْهِ السَّلَامُ، على هذا. والله أعلم. وأما من قال: الضمير في قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾ [ص:٣٢] عائد على الخيل، وإنه لم يفته وقت صلاة، وإن المراد بقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾ [ص:٣٣]، يعني: مسح العرق عن عراقيبها وأعناقها. فهذا القول اختاره ابن جرير.

وقال بعض العلماء: لما ترك الخيل لله، عوضه الله عنها بما هو خير له منها، وهو الريح التي كان غدوها شهرًا ورواحها شهرًا. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص:٣٤].

وقد أثنى الله تعالى عليه وعلى أبيه في قوله: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الأنبياء:٧٨-٧٩]، وقد ذكر شريح القاضي، وغير واحد من السلف، أن هؤلاء القوم كان لهم كرم فنفشت فيه غنم قوم آخرين، أي رعته بالليل فأكلت شجره بالكلية، فتحاكموا إلى داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فحكم لأصحاب الكرم بقيمته، فلما خرجوا على سليمان قال: بما حكم لكم نبي الله؟ فقالوا: بكذا وكذا. فقال: أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم، فيستغلونها نتاجًا ودرًّا حتى يصلح أصحاب الغنم كرم أولئك، ويردوه إلى ما كان عليه، ثم يتسلموا غنمهم. فبلغ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ذلك فحكم به.

وقريب من هذا ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما امرأتان معهما ابناهما، إذ عدا الذئب فأخذ ابن إحداهما فتنازعتا في الآخر، فقالت الكبرى: إنما ذهب بابنك. وقالت الصغرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكمتا إلى داود فحكم به للكبرى، فخرجتا على سليمان، فقال: ائتوني بالسكين أشقه نصفين، لكل واحدة منكما نصفه. فقالت الصغرى: لا تفعل، يرحمك الله، هو ابنها. فقضى به لها»[1]، ولعل كلًّا من الحكمين كان سائغًا في شريعتهم، ولكن ما قاله سليمان أرجح، ولهذا أثنى الله عليه بما ألهمه إياه، ومدح بعد ذلك أباه فقال: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٧٩-٨٠]، ثم قال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾، أي: وسخرنا لسليمان الريح عاصفة ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾ [الأنبياء:٨١-٨٢]، لما ترك الخيل ابتغاء وجه الله عوضه الله منها الريح، التي هي أسرع سيرًا وأقوى وأعظم، ولا كلفة عليه لها. ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص:٣٦]، أي حيث أراد من أي البلاد. كان له بساط مركب من أخشاب، بحيث إنه يسع جميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال من

(١). أخرجه البخاري (٨/١٥٦ رقم٦٧٦٩)، ومسلم (٣/١٣٤٤ رقم١٧٢٠).

الإنس والجان، وغير ذلك من الحيوانات والطيور، فإذا أراد سفرًا أو مستنزهًا، أو قتال ملك أو أعداء من أي بلاد الله شاء، فإذا حمل هذه الأمور المذكورة على البساط، أمر الريح فدخلت تحته فرفعته، فإذا استقل بين السماء والأرض أمر الرخاء فسارت به، فإن أراد أسرع من ذلك أمر العاصفة فحملته أسرع ما يكون، فوضعته في أي مكان شاء، بحيث إنه كان يرتحل في أول النهار من بيت المقدس، فتغدو به الريح فتضعه بإصطخر، مسيرة شهر، فيقيم هناك إلى آخر النهار، ثم يروح من آخره، فترده إلى بيت المقدس، كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٢-١٣]. قال الحسن البصري: كان يغدو من دمشق، فينزل بإصطخر فيتغدى بها، ويذهب رائحًا منها فيبيت بكابل، وبين دمشق وبين إصطخر مسيرة شهر، وبين إصطخر وكابل مسيرة شهر. قلت: قد ذكر المتكلمون على العمران والبلدان، أن إصطخر بنتها الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديمًا، وكذلك غيرها من بلدان شتى: كتدمر، وبيت المقدس، وباب جيرون، وباب البريد، اللذين بدمشق، على أحد الأقوال. وأما القطر، فهو النحاس. قال قتادة: وكانت باليمن، أنبعها الله له. قال السدي: ثلاثة أيام فقط، أخذ منها جميع ما يحتاج إليه للبنايات وغيرها.

وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾، أي: وسخر الله له من الجن عمالًا يعملون له ما يشاء، لا يفترون ولا يخرجون عن طاعته، ومن خرج منهم عن الأمر عذبه ونكل به. ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس. ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾، وهي الصور في الجدران، وكان هذا سائغًا في شريعتهم وملتهم. ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سبأ:١٣]، قال ابن عباس: الجفنة كالجوبة من الأرض. وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء، كما قال الأعشى:

نفى الذم عن آل المحلق جفنة كجابية السيح العراقي تفهق

وأما القدور الراسيات، فقال عكرمة: أثافيها منها. يعني أنهن ثوابت لا يزلن عن أماكنهن. وهكذا قال مجاهد وغير واحد. ولما كان هذا بصدد إطعام الطعام، والإحسان إلى الخلق من إنس وجان، قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص:٣٧-٣٨]. يعني أن منهم من قد سخره في البناء، ومنهم من يأمره بالغوص في الماء، لاستخراج ما هنالك من الجواهر واللآلئ، وغير ذلك مما لا يوجد إلا هنالك. وقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾، أي: قد عصوا فقيدوا مقرنين اثنين اثنين في الأصفاد، وهي القيود. هذا كله من جملة ما هيأ الله وسخر له من الأشياء، التي هي من تمام الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده، ولم يكن أيضًا لمن كان قبله. وعن أبي

هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتًا من الجن تفلت البارحة ليقطع عليَّ صلاتي فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان: ﷺ [ص:٣٥]. فرددته خاسئًا»(١).

وقد ذكر غير واحد من السلف، أنه كانت لسليمان من النساء ألف امرأة، سبع مئة بمهور، وثلاث مئة سراري. وقيل بالعكس: ثلاث مئة حرائر وسبع مئة من الإماء. وقد كان يطيق من التمتع بالنساء أمرًا عظيمًا جدًّا.

فعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، تحمل كل امرأة فارسًا يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: إن شاء الله. فلم يقل، فلم تحمل شيئًا إلا واحدًا ساقطًا أحد شقيه». فقال النبي ﷺ: «لو قالها لجاهدوا في سبيل الله»(٢).

وقد كان له، عَلَيْهِ السَّلَامُ، من أمور الملك، واتساع الدولة، وكثرة الجنود وتنوعها، ما لم يكن لأحد قبله، ولا يعطيه الله أحدًا بعده، كما قال: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:١٦]، وقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص:٣٥]، وقد أعطاه الله ذلك بنص الصادق المصدوق. ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسداه

(١). أخرجه البخاري (١/٩٩ رقم٤٦١)، ومسلم (١/٣٨٤ رقم٥٤١).
(٢). أخرجه البخاري (٤/٢٢ رقم٢٨١٩)، ومسلم (١٢/١٢٧٥ رقم١٦٥٤).

من النعم الكاملة العظيمة إليه، قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص:٣٩]، أي أعط من شئت واحرم من شئت، فلا حساب عليك، أي: تصرف في المال كيف شئت، فإن الله قد سوغ لك كل ما تفعله من ذلك، ولا يحاسبك على ذلك، وهذا شأن النبي الملك بخلاف العبد الرسول، فإن من شأنه أن لا يعطي أحدًا ولا يمنع أحدًا إلا بإذن الله له في ذلك.

وقد خير نبينا محمد، صلوات الله وسلامه عليه، بين هذين المقامين، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا. وفي بعض الروايات: أنه استشار جبريل في ذلك، فأشار إليه أن تواضع. فاختار أن يكون عبدًا رسولًا، صلوات الله وسلامه عليه. وقد جعل الله الخلافة والملك من بعده في أمته إلى يوم القيامة، فلا تزال طائفة من أمته ظاهرين حتى تقوم الساعة. فلله الحمد والمنة.

ولما ذكر تعالى ما وهبه لنبيه سليمان، عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، من خير الدنيا، نبه على ما أعده له في الآخرة من الثواب الجزيل والأجر الجميل، والقربة التي تقربه إليه، والفوز العظيم والإكرام بين يديه، وذلك يوم المعاد والحساب، حيث قال تعالى: ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص:٢٥][1].

(١). انظر: البداية والنهاية: ابن كثير (٢/٣٢٣-٣٥١)، وتاريخ الطبري (١/٢٨٩-٢٩٢).

العبر والعظات المستفادة

من عظمة القرآن الكريم احتواؤه على قصص عظيمة، فيها من الحكمة والمعرفة الشيء الكثير، ومنها قصص سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ مع قومه، وما تحمل من معان ودروس، تدعو للإعجاب والتفكر، ومنها:

١. الكفر واتباع وسوسه الشيطان من أسباب زوال النعم.

٢. الأمر بالتامل والتدبر في الأدلة التي خلقها الله، لعلهم يرعوون عن غيهم.

٣. مهمة ولي الأمر تفقد الرعية والجنود ومتابعة الانضباط والطاعة، وإلا أصبحت الأمور فوضىٰ.

٤. قدرة الله وعظمته في إعطاء النعم العظيمة للأنبياء من الملك والحكمة والعلم.

٥. أن كل شيء ينقاد لأمرالله تعالىٰ، ويخضع له حتىٰ الشياطين المتمردة علىٰ الله ابتداءً، من الجن والإنس والريح والحيوانات بجميع أنواعها.

٦. إن كل الذي سُخِّر لسليمان هو هبة من الله، ولم يكتسبه سليمان بجده وجهده.

٧. أن الملك لا يساوي شيئًا بالنسبة لملك الله العظيم. كما أنه لا يقارن بما يعطيه الله من ملك لكل مؤمن في الآخرة.

٨. أن قدرة الله في إنطاق كل شيء لا حدود لها.